بسم الله الرحمن الرحيم

MONA MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الالكتروني والميكروفيلم

MONA MAGHRABY

شبكة المعلومات الجامعية

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

جامعة عين شمس

التوثيق الإلكتروني والميكروفيلم

قسم

نقسم بالله العظيم أن المادة التي تم توثيقها وتسجيلها
علي هذه الأقراص المدمجة قد أعدت دون أية تغيرات

يجب أن

تحفظ هذه الأقراص المدمجة بعيدا عن الغبار

MONA MAGHRABY

كلية دار العلوم

قسم النحو والصرف والعروض

استشهاد النحويين بأقوال المفسرين وأثــره في النحــو

دراســة تحليليـة

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

حسن محمد محمد علي

المدرس المساعد بالقسم

إشراف

أ.د. شعبان صلاح

أستاذ النحو والصرف والعروض

١٤٤٣هـ - ٢٠٢١م

كلمة شكر

إذا كان من سنن الرسائل الجامعية أن يُقدِّم أصحابها بين يدي رسائلهم شكرًا لأساتذتهم؛ فإن شكري لأستاذي الجليل العالم الدكتور/ **شعبان صلاح**- متَّعه الله بالعافية- يتعدّى ظروف هذه الرسالة، فقد أشرف عليّ في مرحلة الماجستير فوجدتُ فيه الأستاذَ البارّ العطوف، والعالمَ الناصح.

وهذا البحثُ لم يكن ليصلَ إلى هذه الصورةِ لولا توجيهاتُه ونصائحُه. حفظه الله وأسعده وأسعد به، وجزاه عنِّي خير الجزاء، وجعل ما قدَّمه لي ولغيري في موازين حسناته.

والشكر الصادق لأستاذيّ الكريمين: الأستاذ الدكتور/ **كمال سعد أبو المعاطي**، والأستاذ الدكتور/ **إيهاب همام الشيوي**؛ لتكرّمهما بقبول مناقشة هذا العمل، وتقويمه.

والله أسأل أن ينفعني وغيري بعلمهما، وأن يجمع لهما الخيرَ كلَّه.

المقدّمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، وبعدُ،

فإنّ أعظم أدلّة علم النّحو السّماعية وأقواها القرآن الكريم؛ لأنّه كلام ربّ العالمين، وقد نزل في قوم لُدّ بلغاء، أزرى نظمه بنظومهم، وبلاغته ببلاغتهم، ولمّا تحدَّاهم أعجز فصحاءهم، وأتى على بليغهم؛ فكان الإقرار بإعجازه وفصاحته ممّا يلزمهم.

وقد أجمع النحاة قديمًا وحديثًا على الاحتجاج بالقرآن الكريم؛ وأنه أعربُ وأقوى في الاحتجاج من الشّعر.

ولمّا كان القرآن كتاب هداية وبيان، وكانت الحاجة إلى تفسير معناه ظاهرة؛ ظهرت العناية بتبيين معانيه، وتوضيح مقاصده ومراميه. ولمّا كان المفسِّر للقرآن يُضفي عليه من فهمه الخاصّ ما يصِحُّ عنده من وجوه المعاني متَّكئًا في ذلك على سليقته العربية وما ورد من الأحاديث والآثار، وكانت حاجة النُّحاة إلى الاستدلال بالقرآن الكريم في التقعيد لازمة؛ كانت أقوال المفسِّرين موضع نظر كثير من النحويين في إثبات قاعدة أو ترجيح وجه؛ وعليه فقد امتلأت كتبهم بكثير من آراء المفسِّرين، وتعدّدت مواقفهم منها بين الاحتجاج والقبول والرفض والإنكار.

وهذه محاولة لجمع أقوال المفسِّرين في كتب التراث النّحويّ ودراستها، وتبيين موقف النّحويين منها، والكشف عن أثر ذلك في الدرس النّحويّ. وأعني بالمفسِّرين المتقدِّمين من الصحابة والتابعين الذين يُحتجُّ بأقوالهم، وعنهم تُؤخَذ اللغة.

أمّا عن سبب اختيار هذا الموضوع فهو محاولة للكشف عن مصدر من مصادر الاحتجاج النحويّ لم يأخذ حظَّه من البحث والدّرس، وأعني به أقوال المفسِّرين من الصحابة والتابعين.

وأما أهداف هذا البحث فهي:

أولًا: الكشف عن علاقة المفسِّرين بالنحاة، وأثر المفسِّرين في نشأة علم النحو، ومصطلحه، وتطوُّر مسائله.

ثانيًا: الوقوف على أثر أقوال المفسِّرين في التقعيد، والتوجيه، والتأويل.

ثالثًا: الكشف عن مواقف النحويين من أقوال المفسِّرين.

رابعًا: الوقوف على معايير القبول والرفض من النحويين لأقوال المفسِّرين.

خامسًا: الوقوف على ما يجمع المفسِّرين والنحاة في التعامل مع النصّ القرآنيّ.

وأمّا الدراسات السابقة التي تناولت هذا الموضوع فيمكن تقسيمها على النحو التالى:

١ - دراسات أشارت إلى أثر المفسِّرين في النحو بعامّة، وفي بعض مسائل التقعيد خاصّة، ومنها:

[أ] دراسة للدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة، بعنوان (النحو وكتب التفسير)[(١)]، وقد أفردت هذه الدراسةُ آخر مبحث في الكتاب لتوجيهات المفسِّرين النحوية في كتب النحو التي تُعَدّ توجيهات إعرابية أو آراء نحوية محدّدة. وقد عرض الدكتور للمواضع التي ذَكَرَ فيها سيبويه (في كتابه)، والمبرّد (في مقتضبه)، وابن السرّاج (في أصوله) المفسِّرين وآراءهم.[(٢)]

ومجموع ما قدَّمه الدكتور في هذا الموضع هو اثنا عشر نموذجًا: أربعة عند سيبويه، وستة عند

---

(١)النحو وكتب التفسير، للدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ط١، ١٩٨٢م.

(٢) انظر: النحو وكتب التفسير ص ١١٧٩ وما بعدها.

المبرد[١]، وموضعان عند ابن السرّاج، أحدهما جرى ذكره عند سيبويه.

وهذه الدراسة تختلف عمّا أحاول تقديمه في أنها لم تكن دراسة مفردة لجمع أقوال المفسرين في كتب التراث النحوي، ولم تُعنَ باستقراء ما نقلتْه من أقوال للمفسرين؛ إذ اكتفت بتقديم نماذج لانتفاع النحويين بآراء المفسرين وكتبهم، ولم تقصد إلى أن تكون دراسة شاملة لكلِّ كتب النحو، وهو ما صرَّح به الدكتور إبراهيم رفيدة.[٢]

وقد أدّى عدم الاستقراء هذا بالدكتور رفيدة إلى أن يصرّح بأنه لم يلاحظ في كتب النحو نقولًا كثيرة عن المفسرين، وقد جعل الدكتور مردّ هذا إلى أن المرجع الحقيقي للآراء النحوية هو كتب النحو، وأن كتب التفسير بالرأي هي التي انتفعت بآراء النحويّين ونقلتها، وأن نشأة هذا التفسير كانت مدينة لهذه الآراء، كما أن عمل النحويين هو آلة ووسيلة لفهم القرآن الكريم، وأن كتب النحو المتقدمة عُنِيت بعض العناية بآراء المفسرين السابقين الأثريين حيث كانت تذكر- على قلّة- بعض التوجيهات العربية لهم ممَّا يُعَدُّ دليلًا أو قولًا مُزكّيًا أو قولًا مستقِلًّا، وهي في أغلبها توجيهات عامّة تُزكّي الرأي النحوي. وأما النحاة المتأخرون – غير ابن هشام في المغني- فتقِلّ أو تكاد تنعدم في كتبهم آراء المفسرين التي تُنسَبُ إليهم صراحة.

والملاحظ أنَّ الدكتور إنّما صدر في كلامه هذا عن عدم استقراء لكتب النحو، كما أن تاريخ دراسته سابق لظهور كثير من كتب هذا التراث التي لم تكُ قد حُقِّقَتْ أو أفلتت من أسر المخطوطات. والمتتبع لآراء المفسرين يجد فيها ما يؤسِّس لحكم نحويّ، أو ما يُرَجَّح به توجيهٌ إعرابيّ.

[ب] دراسة بعنوان: (أصول علم العربية في المدينة)، للدكتور عبد الرزاق بن فراج الصاعدي، وقد اهتمَّت الدراسة بإبراز دور أهل المدينة من الصحابة والتابعين في نشأة النحو، وقد عرض الدكتور في حديثه عن النحو في قراءتهم وتعليقاتهم التفسيرية لبعض الملاحظات، والآراء، أو الأصول النحوية المستنبطة من قراءات بعضهم أو تعليقاتهم، كابن عباس وابن هرمز، من غير استقراء.[٣]

[جـ] دراسة بعنوان: (ابن عباس رضي الله عنهما مؤسِّس علوم العربيّة)[٤]، للدكتور عبد الكريم بكار، عرض فيه الدكتور لما يُؤثَر عن ابن عباس - رضي الله عنهما- في فنون العربيّة حيث صار كثير من أقواله يُشكِّل مسارًا أو اتجاهًا لكثير ممَّن جاء بعده.[٥] وقد عرضت الدراسة نماذج من تراث ابن عباس في العربية.[٦]

[د] دراسة للدكتور فخر الدين قباوة بعنوان: (جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية

---

(١) ومن هذه الستة موضع أورده للدكتور؛ لأنه جاء فيه اسم المفسرين عَرَضًا، وهو قول المبرد:"...، وهذا لا يعرفه المفسِّرون، ولا النحويون، لا يعرفون (أم) زائدة". المقتضب٣: ٢٩٧.

(٢) نصَّ الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة على أن ما يقدِّمه في هذا المبحث لا يعدو كونه نماذج؛ فقال:"وعلى أيِّ حال فإنّي في هذا المبحث إنَّما أقدِّم نماذج لانتفاع النحويين بآراء المفسِّرين وكتبهم، ولا أقصد أن يكون دراسة شاملة لكل كتب النحو". انظر: النحو وكتب التفسير ص ١١٨٢. وأما ما أوردته دراسة الدكتور رفيدة من أقوال المفسِّرين في (كتاب المغني) فلا يتقاطع مع موضوع بحثي هذا؛ لأن هؤلاء المفسِّرين لم يعاصروا زمن الاحتجاج.

(٣) انظر: (أصول علم العربية في المدينة)، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، السنة الثامنة والعشرون، العددان ١٠٥ -١٠٦، ١٤١٧هـ - ١٤١٨هـ /١٩٨٧-١٩٨٨، من ص٣٥٢ إلى ٣٥٥.

(٤) ابن عبّاس رضي الله عنهما مؤسّس علوم العربية، للدكتور عبد الكريم بكار، دار السوادي، جدة، ١٤١١هـ/١٩٩١م، ودار الإعلام عمّان، الأردن، ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٥) انظر: ابن عباس رضي الله عنهما مؤسِّس علوم العربية، من ص٢٩ إلى ٤٥.

(٦) انظر: ابن عباس رضي الله عنهما مؤسِّس علوم العربية ص٥٦.

القدمى) [١]، وقد كان الهدف من هذه الدراسة – كما ذكر الدكتور- أن يزحزح نظرية تأخّر نشأة النحو بالرجوع بالتاريخ النحويّ قليلًا إلى الوراء، وقد اتكأ الدكتور في هذا على ما وقع له من نصوص قديمة جدًّا في مصنفات التفسير، لروّاد المفسِّرين من الصحابة والتابعين، والتي تُمثِّل - من وجهة نظره- نضجًا في الفهم النحويّ، وقدرة على استخدام أصوله وفروعه، في التطبيق والتحليل والبيان.

وقد ذكر الدكتور أنَّ جلّ هذه النصوص يتوزّع في أقدم المدارسات القرآنية، ويدور في فلك التطبيق النحويّ بفروعه وقنواته، من إعراب للمفردات أو الجمل، وتحليل للصرف ومعاني الأدوات، وهو عبارات واضحة الدلالة أو إشارات لطيفة أو تفسيرات تتضمّن المقاصد الاصطلاحية.[٢]

والملاحظ على هذه الدراسة أن الدكتور أقام دراسته على ما جمعه من مصنفات التفسير قارئًا ودارسًا وباحثًا وناقدًا، ولم يهتم بجمع أقوال المفسرين من كتب النحو.[٣] وقد صرَّحَ الدكتور بأن هذه النصوص والمقولات التي جمعها تكاثرت لديه مصادفة، وساعده فئة من طلاب الدراسات العليا، وأنه اكتفى بها لما فيها من الأدلة والبيان، ولم يفكر في التتبع والاستقصاء.[٤]

كما أنَّ كثيرًا من النصوص التي اعتمد عليها الدكتور كانت من مصنفات التفسير المتأخّرة، وهو ممّا يشكّك في صحّة هذه النصوص، وقد أقرّ الدكتور نفسه بأنه لا يمنع أن يكون في بعض تلك العبارات تصرُّف من النقلة والمؤلفين لكتب التفسير، أو تعبير بما فهم هؤلاء من مدلول العبارات، غير أنه حاول التغلّب على هذا بقوله:"إلّا أن تكرار كثير منها في مختلف المصادر، وورود على ألسنة الأساتذة وطلابهم الأخلاف، يزيلان شيئًا كثيرًا من احتمال التصرُّف أو التزيّد باصطلاح وتعبير[٥]".

على أن الدكتور قباوة- وإن ذكر أن هذه المقولات انتقلت إلى المشهورين من النحاة، وقدَّمت لهم زادًا غنيًّا أفادوا منها في كتب التفسير والأعاريب، ونسبوا بعضها إلى قائليها- صرَّح بأنهم لم يُوظِّفوا شيئًا منها في البحث النحويّ، فغابت آثارها مع الزمن، ولو أنهم أوردوها في مطاوي البحث لوضعوا بين أيدي الدارسين معالم الحقيقة التي ترشد إلى الصواب في تاريخ النحو![٦]

١. [هـ] بحث بعنوان: (الجهود النحوية والصرفية في تفاسير القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثاني الهجري)، للباحث سهيل سالم الشمراني، حاول فيه الباحث أن يُظهِرَ الدور الجليّ للمفسِّرين في نشأة النحو والمتمثِّل فيما ورد عن ابن عبّاس، ومجاهد، وقتادة، والضحّاك، ومقاتل بن سليمان، وابن جُرَيج، من مسائل ومناقشات.[٧]

[و] بحث بعنوان: (مظاهر التحليل النحوي قبل كتاب سيبويه)[٨]، للباحث: عيسى شاغة، الذي

---

(١) جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدمى؛ للدكتور فخر الدين قباوة، دار الغوثاني للدرسات القرآنية، دمشق- سورية ط١، ٢٠٠٧هـ.

(٢) انظر: جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدمى ص ٧-٨.

(٣) انظر: جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدمى ص ٦-٧.

(٤) انظر: جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدمى ص١٠.

(٥) جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدمى ص ١٧.

(٦) انظر: جذور التحليل النحوي في المدرسة القرآنية القدمى ص ٧-٨.

(٧) الجهود النحوية والصرفية في تفاسير القرآن الكريم حتى نهاية القرن الثاني الهجري، للباحث سهيل سالم الشمراني، رسالة ماجستير، بكلية دار العلوم، جامعة القاهرة سنة ٢٠٠٧م.

(٨) مظاهر التحليل النحوي قبل كتاب سيبويه، للباحث: عيسى شاغة، مجلة معارف، السنة الثامنة، العدد ١٥ (جوان ٢٠١٤م). من ص٢٧٠ إلى ص٢٨٤.

ذكر أن بحثه جاء ليكشف النقاب عن ملامح التحليل النحويّ في مرحلة لطالما كانت غائبة عن أنظار الدارسين واهتمامهم، وهي مرحلة ما قبل ظهور كتاب سيبويه[١]، وقد قدَّم الباحث نماذج من التحليل النحوي في عهد النبوة المطهّرة، وفي عهد الصحابة والتابعين، وعند أوائل النحاة.[٢]

وهذا البحث – على قلّة ما أورده من نماذج من أقوال المفسرين- هو كسابقه أقام دراسته على ما جمعه من مصنفات التفسير المتأخِّرة، ولم يجمعها من كتب النحويّين.

[ز] بحث بعنوان: (توجيهات المفسِّرين النحويّة في كتاب سيبويه)[٣]، للدكتور علي محمود أحمد محمد خير، عرض فيه الدكتور لثمانية مواضع، رأى أنّ سيبويه أفاد فيها من الآراء النحوية للمفسرين.[٤]

وقد تناول الدكتور هذه المسائل بالعرض والتحليل والمناقشة، وأرجعها إلى أصولها والقائلين بها فوجد أن منها ما يرجع إلى ابن عباس (ت ٦٨ هـ) رضي الله عنهما، ومنها ما يرجع إلى مجاهد (ت١٠٤هـ)، وإلى الحسن البصريّ (ت١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسيّ (ت١١٧هـ)، وزيد بن أسلم (ت١٤٦هـ)، وسفيان الثوريّ (ت١٦١هـ). وقد رأى الدكتور أن في ذلك دلالة على أن سيبويه لم يكن مُنبتًّا عن حركة التفسير في عصره، وأنه كما أفاد من شيوخه في النحو- ومنهم مَنْ ضرب بسهم في التفسير والقراءات- أفاد كذلك من غيرهم من المفسرين.[٥]

٢- دراسات عرضت لأثر أقوال المفسرين في التوجيهات الإعرابيّة عند النحويّين، ومن هذه الدراسات:

[أ] - بحث بعنوان: (أثر التفسير بالمأثور في التوجيه النحويّ لآيات القرآن الكريم: نماذج من تفسير سورة البقرة في جامع البيان للطبري)، للباحث: شريف عبد الكريم النجار.[٦]

[ب] بحث بعنوان: (أثر التفسير بالمأثور في التوجيه النحويّ لآيات القرآن الكريم)، للباحث محمد ابن عبد الله بن عبد الرحمن الدوغان. وهو دراسة لأثر التفسير بالمأثور الذي يشمل حديث النبيِّ (صلَّى الله عليه وسلَّم)، وأقوال الصحابة (رضي الله عنهم)، والتابعين (رحمهم الله)، في التوجيه النحوي، وقد عنيت هذه الدراسة بتقديم نموذج لطريقة المعربين في إفادتهم من التفسير بالمأثور في

---

(١) ذكر الباحث أن هذه المرحلة شهدت نشاطًا تحليليًّا تفسيريًّا للنصوص الفصيحة وعلى رأسها النصّ القرآنيّ. على أيدي علماء أجلاء من جيل الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم وأوائل النحاة والمفسرين، الذين ضاعت معظم جهودهم العلمية ولم تصل إلينا، لطبيعة النشاط العلمي. آنذاك. القائم على المشافهة دون التأليف والتصنيف، وأنه بفضل ما تيسر لهذا البحث من نصوص تم جمعها من كتب الأخبار والتفسير وإعراب القرآن الكريم استطاع الباحث أن يأخذ صورة واضحة المعالم عما قدمه علماء الجيل الأول من تحليلات بسيطة لبعض الآيات الكريمة، يمكن أن نعتبرها البداية الأولية للتحليل النحوي. انظر: مظاهر التحليل النحوي قبل كتاب سيبويه، مجلة معارف، السنة الثامنة، العدد ١٥ (جوان ٢٠١٤م). من ص٢٧٠ إلى ص٢٨٤.

(٢) انظر: مظاهر التحليل النحوي قبل كتاب سيبويه ص٢٧٣ - ٢٨٣.

(٣) توجيهات المفسِّرين النحويّة في كتاب سيبويه، للدكتور علي محمود أحمد محمد، مجلة العلوم العربية والإنسانية المجلد(٩)، العدد (٤)، ص١٠٢٧-١٠٦٥، شوال١٤٣٧هـ/ يوليو٢٠١٦م.

(٤) ذكر الدكتور أن سيبويه صرح في أربعة مواضع بلفظ المفسرين، وأنه بعد التأمل والاستقصاء وجد المواضع التي لم يسمها سيبويه أكثر بكثير من تلك التي سماها، ولكن الدكتور اختصرها في أربعة أخر؛ حتى لا يخرج الموضوع عن حده!. ومهما يكن من أمر فإن المواضع الأربعة التي ذكر الدكتور أن سيبويه صرَّحَ فيها بلفظ المفسِّرين هي التي أوردها الدكتور إبراهيم عبد الله رفيدة، وقد أشار الباحث إلى هذا، وأما الأربعة الأخرى فقد وافقتُ الباحث في موضعين، وخالفته في الأخريين. انظر: (توجيهات المفسِّرين النحويّة في كتاب سيبويه)، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، المجلد(٩)، العدد (٤)، ص١٠٢٧-١٠٦٥، (شوال١٤٣٧هـ-يوليو٢٠١٦م).

(٥) انظر: توجيهات المفسِّرين النحويّة في كتاب سيبويه ص١٠٢٧.

(٦) (أثر التفسير بالمأثور في التوجيه النحويَ لآيات القرآن الكريم: نماذج من تفسير سورة البقرة في جامع البيان للطبري)، مجلة إسلامية المعرفة، المعهد العالمي للفكر الإسلامي (المجلد ١٤ - العدد. ٥٤، لسنة ٢٠٠٨م).

التوجيه النحوي لآيات القرآن الكريم. وقد قام هذا البحث على دراسة تطبيقية للتوجيهات النحوية التي تأثر فيها النحاة بالتفسير المأثور في ستة كتب، هي: معاني القرآن للفراء، ومعاني القرآن للأخفش، ومعاني القرآن وإعرابه للزجاج، ومعاني القرآن للنحاس، وإعراب القرآن للنحاس، ومشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب.[١]

[ج] بحث بعنوان: (الاستدلال بتفسير ابن عبّاس في إعراب القرآن)، للدكتور خالد بن إبراهيم النملة، هدف فيه الدكتور إلى بيان أثر الرجوع إلى الثابت من التفسير بالمأثور في صحة التقدير الإعرابي، وثمرته في الترجيح بين الأوجه الجائزة في إعراب الآية من القرآن. وقد قدَّم الدكتور دراسة لأربع عشرة مسألة من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما مُؤيِّدًا أحد الأوجه الإعرابيّة في كلّ مسألة منها.[٢]

[د] بحث بعنوان: (إعراب القرآن بين دلالة المأثور والقياس النحويّ في كتب إعراب القرآن)، للباحثة: أريج بنت حسن القبي.[٣]

والملاحظ أن هذه الدراسات جميعها لم تُعنَ باستقراء أقوال المفسرين في كتب النحويين المختلفة، ولم تقصد إلى تبيين مواقفهم من ذلك. كذلك لم تُعنَ هذه الدراسات - في الغالب- ببيان مدى تأثر النحاة بأقوال المفسِّرين في مسائل التقعيد النحوي، ومعاني الأدوات، والتوجيه الإعرابي، ومسائل التصريف والاشتقاق، والاحتجاج للقراءات. وهو ما حاولتُ الكشف عنه في دراستي.

وأما الخطة التي اعتمدتها في هذا البحث فقد قامت على عدة مراحل، هي:

[١] جمع أقوال المفسِّرين من كتب التراث النحوي، وأعني بكتب التراث النحوي ما خلَّفه النحويّون من كتب خالصة لعلم النحو أو ما صنفوه في المعاني واللغة والغريب وغيرها.

ولّما كانت مؤلفات النحويّين تتوزّع على المعاني والتقعيد والاشتقاق والتصريف والتوجيه والقراءات، فقد تتبَّعتُ أقوال المفسِّرين في هذه المؤلَّفات؛ لأكشف عن أثر تلك الأقوال في آراء النحويين خاصّة، وفي النحو عامّة.

وقد اعتمدتُ في توثيق آراء المفسِّرين على كتبهم، كتفسير ابن عباس (ت ٦٨ هـ)، وهو الصحيفة التي رواها عنه علي بن أبي طلحة (ت١٤٣هـ)، وتفسير مجاهد بن جبر (١٠٤هـ)، والناسخ والمنسوخ لقتادة بن دعامة السدوسيّ (١١٧هـ)، وكتابي مقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) (التفسير، والوجوه والنظائر)، ثم ما أسندته كتب التفسير، كتفسير سفيان الثوريّ (ت١٦١هـ)، وكتابي يحيى بن سلام (ت٢٠٠هـ) (التفسير- والتصاريف)، ومعاني القرآن للفراء (ت٢٠٧هـ)، وتفسير عبد الرزاق (ت٢١١هـ)، وتفسير الطبريّ (ت٣١٠هـ)، وتفسير ابن أبي حاتم (ت٣٢٧هـ)، ثم ما نقلته كتب المفسِّرين الأخرى.

وقد كنتُ على ذُكر بالفرق بين أقوال المفسِّرين، وما عبَّر به النقلة ممّا فهموه من مدلول عبارات المفسّرين، وقد تجنبتُ – في الغالب- كتب المفسِّرين المتأخِّرين؛ لتصرُّفهم في النقل أيضًا.

[٢] دراسة هذه الأقوال وتصنيفها وبيان موقف النحويين منها.

---

(١) انظر: (أثر التفسير بالمأثور في التوجيه النحويَ لآيات القرآن الكريم)، رسالة دكتوراه، بكلية اللغة العربية وآدابها، جامعة أم القرى- مكة المكرمة، ١٤٣١م.

(٢) انظر: (الاستدلال بتفسير ابن عباس في إعراب القرآن)، مجلة العلوم العربية (العدد الثلاثون، محرم ١٤٣٥هـ) من ص١٣ إلى ص٧٢.

(٣) انظر: (إعراب القرآن بين دلالة المأثور والقياس النحوي في كتب إعراب القرآن)، رسالة دكتوراه بكلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية/ ١٤٤١هـ- ٢٠١٩م.

وقد كان النهج الذي انتهجتُه في طرق مسائل هذا البحث هو المنهج الاستقرائي التحليلي، وهو منهج يدفع إليه موضوع البحث، مع ترتيب لمراحل هذا المنهج من مرحلة جمع المادة، وتصنيفها، ثم ترتيبها، والنظر فيها ومعالجتها.

وقد اخترتُ أن تكون معالجتي لمسائل هذا البحث هي أن أبدأ المسألة بكلام النحويين، ثم أقيم دراسة تحليليّة أعرض فيها لأقوال المفسرين ووجه استشهاد النحاة بها، متتبِّعًا لأثر ذلك في معالجات النحويّين، ومرجِّحًا - عند الخلاف- ما يظهر لي راجحًا.

وأمّا الصعوبات التي واجهت البحث فتتمثّل في:

١- أنَّ أقوال المفسِّرين لمّا كانت موردًا من موارد الثقافة الإسلامية العامة؛ وجزءًا من التكوين العلميّ للنحويّ، فقد وردت بعض هذه الأقوال في كتب النحويين على أنها آراء نحوية، وتُنُوسِيَ موردها الأصلي، وقد أدّى بي هذا إلى أن أعود إلى مصادر التفسير الأولى، والنقولات التفسيرية في كتب المتأخّرين؛ لأكشف عن صلة المفسِّرين الأوائل بهذه الآراء النحوية.

٢- أنَّ اختلاف طرائق النحويين في تناولهم لأقوال المفسرين؛ أدَّى ببعضهم إلى أن يفيد منها في مسائل التقعيد، كما أن بعضهم استشهد بها في مسائل التوجيه الإعرابي، وأوردها بعضهم في الاحتجاج للقراءات، والاختيار منها. وقد يفيد بعضهم منها في وجهين أو أكثر من هذه الوجوه. وقد أدَّى هذا بي إلى أن أُفرِدَ فصولًا لهذه الوجوه أحاول أن أكشف فيها عن أثر أقوال المفسِّرين في آراء النحويين.

٣- أنَّ توسُّع النحويين في الإفادة من أقوال المفسِّرين، ضاعف عدد المسائل النحوية التي أفادت من هذه الأقوال، وقد حاولتُ التغلُّب على هذه الكثرة بأن أجمع ما يتعلَّق بالمسألة الواحدة، وما يمكن أن يكون فرعًا عليها، فأورده في نهاية المسألة.

٤- أنَّ كثيرًا من الأقوال التفسيرية دخلها ضرب من التضارب والاختلاف في نسبتها، فقد وجدت للمفسِّر الواحد أكثر من قول في الآية الواحدة، وهو ممّا يشكِّك في صحّة بعضها، ويصعب الاعتماد عليه. وقد حاولتُ التغلُّب على هذا بالاعتماد في توثيق هذه الأقوال على ما لدينا من كتب المفسِّرين أنفسهم، أو كتب التفسير المسندة.

وأما أبواب هذا البحث وفصوله فهى تتوزّع - بعد المقدّمة والتمهيد - على النحو الآتي:

الباب الأول: أثر أقوال المفسِّرين في الدرس النحويّ والصرفيّ، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أثر أقوال المفسِّرين في مسائل التقعيد النحويّ

الفصل الثاني: أثر أقوال المفسِّرين في الأدوات

الفصل الثالث: أثر أقوال المفسِّرين في الاشتقاق ومسائل التصريف، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر أقوال المفسِّرين في الاشتقاق

المبحث الثاني: أثر أقوال المفسِّرين في مسائل التصريف

الباب الثاني: أثر أقوال المفسِّرين في توجيهات النحويّين، وفيه فصلان:

الفصل الأول: أثر أقوال المفسِّرين في توجيهات النحويّين الإعرابيَّة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أثر أقوال المفسِّرين في إعراب المفردات

المبحث الثاني: أثر أقوال المفسِّرين في إعراب الجمل وتبيين متعلّقاتها

المبحث الثالث: أثر أقوال المفسِّرين في تعيين مرجع الضمير

الفصل الثاني: أثر أقوال المفسِّرين في احتجاج النحويّين للقراءات القرآنيّة، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: أثر أقوال المفسِّرين في توجيهات النحويّين للقراءات القرآنيّة
المبحث الثاني: أثر أقوال المفسِّرين في اختيارات النحويّين للقراءات القرآنيّة
الخاتمة: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

التمهيد

علاقة المفسِّرين بالعربيّة والنحويِّين

من المعلوم أنَّ المسلمين شيَّدوا بنيانهم العلميّ على القرآن؛ فنشأت في كنفه علوم شتَّى، كالتَّفسير، والقراءات، والحديث، والفقه، والعربيَّة وفروعها؛ من الأصوات، والنَّحو، والدّلالة، والاشتقاق، والمعجم.[١]

تعريف التفسير

وعلم التفسير هو علم يُبحَث فيه عن أحوال الكتاب العزيز؛ من جهة: نزوله، وسنده، وأدائه، وألفاظه، ومعانيه المتعلِّقة بالألفاظ، والمتعلِّقة بالأحكام، وغير ذلك.[٢] وموضوعه الكتاب العزيز، وغايته فهم خطاب الله تعالى.[٣]

وقد كانت الحاجة داعية إلى تفسير القرآن؛ لأنه كلام الله المُعجِز، وفيه الأوامر والنواهي. وهو كلام عربيّ نزل منجّمًا حسب الحوادث، وفيه المحكم، وهو ما لا يحتمل من التأويل إلّا وجهًا واحدًا، والمتشابه وهو ما احتمل وجوهًا.[٤]

والكلمة إذا احتملت وجوهًا، لم يكن لأحد صرفُ معناها إلى بعض وجوهها دون بعضٍ، إلا بحُجّة يجب التسليم لها.[٥] ومن هنا تتفاوت القدرات والمراتب في معرفة الحُجّة والاستدلال بها.

مراحل علم التفسير

وقد مرَّ علم التفسير - كشأن العلوم - بمراحل متعددة، أمّا المرحلة الأولى فهو التفسير فى عهد النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه. وقد ذكر بعض الباحثين أنه في هذه المرحلة لم يحتج السلف ولا الذين أدركوا وحيه إلى النبيِّ صلّى الله عليه وسلم أن يسألوا عن كثير من معانيه؛ لأنهم كانوا عرب الألسن، فاستغنوا بعلمهم به عن المسألة عن معانيه.[٦]

لكنَّ التباين البشريّ بين الناس في إدراك المعقولات أمر لا يُنكَر، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾النساء: ٨٣. ويقول ابن قتيبة: "إنّ العرب لا تستوى في

---

(١) انظر: أصول علم العربية في المدينة ص٢٨٩.

(٢) انظر: إتمام الدراية لقراء النقاية ص٢٠، ومناهل العرفان٢: ٤. والتفسير في اللغة يحتمل أن يكون من: فَسَر يفسِر فسرًا، وفسَّر تفسيرًا، ومعناه: البيان والتفصيل، ويحتمل أن يكون مقلوب السّفر، يقال: أسفر الصبح؛ إذا أضاء. أمّا التأويل فيرى أبو عبيد، وابن الأعرابي، وطائفة أن معنى التّفسير والتأويل واحد. وقال بعضهم: التّفسير: كشف المراد عن اللّفظ المُشكل، والتأويل: ردّ أحد المحتملين إلى ما يطابق الظّاهر. انظر: العين (٧: ٢٤٧)، باب السين والراء والفاء، وإصلاح المنطق ص١٨١، والتهذيب (فسر)١٢: ٢٨٣، والصحاح (فسر)٢: ٧٨١، والمفردات في غريب القرآن (فسر) ص٦٣٦، والإتقان في علوم القرآن٤: ١٩٢.

(٣) انظر: دستور العلماء١: ٢٢٥.

(٤) كثير من كلام العرب يحتمل وجوهًا، ولذلك قال علي رضي الله عنه لابن عباس حين أرسله إلى الخوارج:"اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجّهم بالقرآن فإنه ذو وجوه، ولكن خاصمهم بالسنة". وقال أبو الدرداء: "لا يكون الرجل فقيهًا كلَّ الفقه حتى يرى للقرآن وجوهًا كثيرة". انظر: الجزء المتمم لطبقات ابن سعد١: ١٨٨، والوجوه والنظائر لمقاتل بن سليمان ص١٩، والإتقان٢: ١٤٤-١٤٥. على أن سياق المعاني وترابطها قد يوجب معنى واحدًا مما يحتمله الكلام.

(٥) انظر: جامع البيان١: ٣١٥.

(٦) انظر: التفسير اللغوي للقرآن الكريم ص٣٣٧. وراجع: مجاز القرآن١: ٨.

المعرفة بجميع ما فى القرآن من الغريب والمتشابه، بل إنّ بعضها يَفضُل في ذلك على بعض[١]".

والصحابة رضوان الله عليهم ناس من الناس تفاوتت مراتبهم في فهم معاني القرآن، وقد أشكل على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم، وهذا يرجع إلى تفاوتهم فى القوة العقلية، وتفاوتهم فى معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف وملابسات، وأكثر من هذا، أنهم كانوا لا يتساوون فى معرفة المعاني التى وُضِعَتْ لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خَفِيَ معناه على بعض الصحابة، ولا ضَيْر فى هذا، فإن اللغة لا يحيط بها إلا معصوم، ولم يدَّع أحد أن كل فرد من أُمَّة يعرف جميع ألفاظ لغتها.[٢]

وقد بيَّن النبيُّ صلّى الله عليه وسلّم القرآن قولًا وعملًا[٣]، ثُمَّ خَلَفَه عددٌ من الصحب الكرام، وهم: الخلفاء الأربعة، وابن مسعود، وابن عباس، وأُبيّ بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو موسى الأشعرى، وعبد الله بن الزبير، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وعبد الله بن عمر، وجابر بن عبد الله، وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعائشة رضي الله عنهم أجمعين.[٤]

وأهمُّ الصفات التي مكَّنَت هؤلاء الصحب الكرام من التفسير قوتهم في العربية، وإحاطتهم بمناحيها وأساليبها، مع معاينتهم لأسباب النزول.

أمّا المرحلة الثانية للتفسير فهي التفسير فى عصر التابعين، فقد تفرّق الصحابة من المفسِّرين في الأمصار المختلفة؛ فتكونت مدارس تفسيرية، أساتذتها الصحابة، وتلاميذها التابعون، فقامت مدرسة للتفسير بمكة، وأخرى بالمدينة، وثالثة بالعراق.[٥]

فأمّا مدرسة التفسير بمكة فقد قامت على ابن عبّاس (ت٦٨هـ)، وأشهر رجالها: سعيد بن جُبَير الكوفيّ (ت٩٥هـ)، ومجاهد بن جبر (ت ١٠٤هـ)، وعكرمة مولى ابن عبّاس (ت١٠٤هـ)، وطاووس بن كيسان اليمانيّ (ت١٠٦هـ)، وعطاء بن أبي رباح (ت١١٤هـ)، وأبو الشعثاء جابر بن زيد (ت ١٠٣ هـ)، وغيرهم.[٦]

أمّا مدرسة التفسير بالمدينة فقد قامت على أُبَي بن كعب (ت٣٠هـ). وأشهر رجالها: زيد بن أسلم العدويّ (ت١٣٦هـ)، وأبو العالية رفيع بن مهران الرياحيّ (ت٩٠هـ)، ومحمد بن كعب القرظّي (ت١١٨هـ)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم (١٨٢ هـ).[٧]

وأمّا مدرسة التفسير بالعراق فقد كان أستاذها الأكبر عبد الله بن مسعود (ت٣٢هـ)، وأشهر رجالها: علقمة بن قيس (٦١هـ)، ومسروق بن الأجدع (ت٦٣هـ)، والأسود بن يزيد النَّخَعِيّ (ت٧٤هـ أو ٧٥هـ)، ومُرَّة بن شراحيل الهمدانيّ الكوفيّ (ت٧٦هـ)، وعامر بن شراحيل الشعبيّ (ت١٠٩هـ)، والحسن البصريّ (ت١١٠هـ)، وقتادة بن دعامة السدوسيّ (ت١١٧هـ).[٨]

وقد كانت مصادر التفسير فى هذين العصرين معتمدة على القرآن الكريم وقراءاته، وكلام النبيِّ صلّى الله عليه وسلّم، والاستنباط من الشعر وكلام العرب، والاجتهاد، مع قليل مما أُثِرَ عن أهل

---

(١) انظر: المسائل والأجوبة لابن قتيبة ص ٨.
(٢) انظر: التفسير والمفسرون١: ٢٩.
(٣) انظر: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر١: ٥٤٤، والتفسير والمفسرون١: ٣٠.
(٤) انظر: الإتقان في علوم القرآن٤: ٢٤٠، ومناهل العرفان١: ٣٠، والتفسير والمفسرون١: ٤٩.
(٥) انظر: التفسير والمفسرون١: ٧٧، ومدخل إلى التفسير وعلوم القرآن ص٧١.
(٦) انظر: التفسير والمفسرون١: ٧٧، ومباحث في علوم القرآن ص٣٤٩، ومحاضرات في علوم القرآن ص١٨٢.
(٧) انظر: التفسير والمفسرون١: ٨٦، ومباحث في علوم القرآن ص٣٥٠.
(٨) انظر: التفسير والمفسرون١: ٨٨، ومباحث في علوم القرآن ص٣٥٠.

الكتاب.[١]

وغالب هذه المصادر هي مصادر للاستدلال أو الاحتجاج في علم النحو، بل هي أهمُّ مصادر النحو السماعية. والصحابة الذين عرفوا بالتفسير هم من الفصحاء الموثوق بعربيَّتهم، وهم أصحاب قراءات أيضًا، والأخذ بأقوالهم المتعلِّقة بالتفسير قد يكون أولى من غيره؛ لأن نقل هذه الأقوال عنهم بالإسناد مع التحرُّج في الكذب عليهم؛ لتعلُّق كلامهم بالقرآن- فيه ما يُعطي هذه الأقوال قوة في الاحتجاج بها عن غيرها، مع ما عاينوه من نزوله، وعرفوه من أسبابه. وقد ذكر الواحدي أنه يمتنع معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصّتها وبيان سبب نزولها.[٢]

وأما المرحلة الثالثة للتفسير فهي مرحلة التدوين، وذلك فى أواخر عهد بني أمية، وأول عهد للعباسين، فمع ابتداء التدوين لحديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم كان التفسير بابًا من الأبواب التى اشتمل عليها الحديث، فجمعه أئمّة الحديث[٣]، ثم انفصل التفسير عن الحديث، فأصبح علمًا قائمًا بنفسه، ووُضِعَ التفسير لكلِّ آية من القرآن، ورُتِّبَ ذلك على حسب ترتب المصحف.[٤]

أشهر المفسِّرين من الصحابة والتابعين وعلاقتهم بالعربية والنحويين

وأمّا عن أشهر المفسِّرين من الصحابة والتابعين وعلاقتهم بالعربية والنحويين فقد قلّ النقل عن الخلفاء، سوى عليّ رضي الله عنهم؛ لانشغالهم بمهام الخلافة، وتقدُّم وفاتهم، ثم لوجودهم في وسط أغلبه عالمون بكتاب الله عزَّ وجلَّ، عارفون بمعانيه وأحكامه، عربٌ تقل لديهم الحاجة إلى الرجوع في التفسير إلى غيرهم.[٥]

أولًا: عليّ بن أبي طالب (ت ٤٠هـ)

أمّا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان أكثر الخلفاء رواية، وقد علَّلَ بعضهم هذا بتأخّر خلافته ووفاته؛ ممّا منحه فرصة تفرَّغ بها للعلم والتعليم، وأوصله إلى زمن كَثُرَتْ فيه حاجة الناس إلى من يفسِّر القرآن ويشرح الأحكام، وكادت فيه تضيع خصائص اللغة العربية بدخول الأعاجم في الإسلام، واختلاطهم بالعرب.[٦]

أمّا عن علاقة عليّ رضي الله عنه بالنحو والنحويين فالروايات – في بعضها- على أنه أول من انتبه إلى وقوع اللحن[٧]، وفي بعضها أنه هو أول من وضع أبوابًا من النحو، ثم أرشد أبا الأسود إلى

---

(١) انظر: التفسير والمفسرون١: ٣١. وقد روى مجاهد عن ابن عباس أنه قال:"التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير تعرفه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلّا الله". انظر: تفسير عبد الرزاق١: ٢٥٣، وجامع البيان١: ٧٥.

(٢) انظر: أسباب النزول ت الحميدان ص٨.

(٣) انظر: من أمثال يزيد بن هارون السلمى المتوفى سنة ١١٧هـ، وشعبة بن الحجاج المتوفى سنة ١٦٠هـ، ووكيع بن الجراح المتوفى سنة ١٩٧هـ وسفيان بن عيينة المتوفى سنة ١٩٨هـ، وروح عن عبادة البصرى المتوفى سنة ٢٠٥هـ، وعبد الرزاق بن همام المتوفى سنة ٢١١هـ، وآدم بن أبى إياس المتوفى سنة ٢٢٠هـ، وعبد بن حميد المتوفى سنة ٢٤٩هـ وغيرهم. انظر: الإتقان في علوم القرآن٤: ٢٤٢.

(٤) انظر: التفسير والمفسرون١: ١٠٤، ومباحث في علوم القرآن ص٣٥١. وقد تمَّ هذا على أيدى طائفة من العلماء منهم ابن ماجه المتوفى سنة ٢٧٣هـ، وابن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ، وأبو بكر بن المنذر النيسابورى المتوفى سنة ٣١٨هـ، وابن أبى حاتم المتوفى سنة ٣٢٧هـ، وأبو الشيخ بن حبان المتوفى سنة ٣٦٩هـ، والحاكم المتوفى سنة ٤٠٥هـ، وأبو بكر بن مردويه المتوفى سنة ٤١٠هـ، وغيرهم من أئمة هذا الشأن. انظر: الإتقان في علوم القرآن٤: ٢٤٢.

(٥) انظر: مناهل العرفان٢: ١٤.

(٦) انظر: مناهل العرفان٢: ١٤، والتفسير والمفسرون١: ٤٩.

(٧) انظر: مراتب النحويين ٢٦، وإنباه الرواة١: ٤٠، ونزهة الألباء ص١٩.